مشكلات الإدمان والأدوية

○ ما هو " الإدمان " وكيف يحدث ؟

بداية فإن مصطلح " الإدمان " لم يعد يستخدم الآن للدلالة علي المفهوم العلمي لاستخدام المواد المخدرة ، فعلاوة علي عدم الارتياح لاستخدام هذا اللفظ في أوساط الطب النفسي فإن منظمة الصحة العالمية قد أوصت بالفعل باستبداله بمصطلحات علمية أخرى أكثر دلالة علي وصف الحالات ولا تحمل الوقع السيئ لكلمة الإدمان التي لا زالت تستخدم حتى الآن من جانب العامة علي نطاق واسع.

ويشيع الآن استخدام المصطلح العلمي " الاعتماد " علي العقاقير للتعبير عن الحالة التي يتجه فيها الفرد إلي تعاطي شئ معين بحيث يحدث تفاعل بين المادة المخدرة والجسم بدرجة تدفع المدمن إلي الحصول علي هذه المادة بإلحاح شديد لا يقاوم ، مع الاتجاه إلي زيادة ما يتعاطاه منها باستمرار حتى يحصل علي نفس التأثير ، وإذا توقف عن التعاطي لأي سبب فإنه يعاني من آثار انسحاب مزعجة حيث يضطرب نفسياً ويشكو من آلام وأعراض بدنية.

ولتفسير كيفية حدوث الاعتماد أو الوصول إلي الوضع الذي يكون فيه تعاطي المادة المخدرة قسرياً نذكر ما توصلت إليه الدراسات من وجود مواد يفرزها بانتظام الجهاز العصبي للإنسان وتسهم في وظيفة تخفيف شعور الألم ، ويتم ذلك بطريقة فسيولوجية دقيقة ، وقد أطلق علي هذه المواد " الأفيونات الداخلية " وعند تعاطي الجرعات الأولي من مواد الإدمان خاصة مشتقات الأفيون الخطيرة فإن الجسم يأخذ في الاعتماد علي هذا المصدر الخارجي لهذه المواد ولا تفرز نفس

كمية الأفيونات الداخلية الطبيعية حتى يصل الأمر إلي حد الاعتماد الكلي علي التعاطي الخارجي .

- ما مدى انتشار المخدرات في العالم وفي مصر ؟

لا يستطيع أي شخص أن يجيب علي هذا السؤال إجابة دقيقة أو حتى تقريبية ، ذلك أنك عزيزي القارئ وأنت تطالع هذه السطور فإن هناك من يجلس في الخفاء يتعاطى نوعاً أو آخر من المخدرات ، وفي نفس الوقت هناك من يزرعها ومن يجهزها ومن يقوم بتهريبها عبر الحدود ليتم ترويجها في الخفاء أيضاً ، فمن يستطيع إذن أن يحيط بمعلومات دقيقة عن هذه الأنشطة التي كانت وستظل تحدث بعيداً عن الأعين.

لكن المؤشرات تدل علي انتشار المخدرات بصورة متفاوتة في كل بلدان العالم تقريباً ، ويمكن أن يستدل علي مدى انتشارها بالكميات التي تعلن السلطات الأمنية عن ضبطها بين الحين والآخر وهي تمثل في أحسن التقديرات مجرد ١٠ - ٢٠ ٪ فقط مما يتم تداوله .

وتذكر الأرقام وفقاً لإحصائيات منظمة الصحة العالمية أن عدد المدمنين في العالم اليوم يصل إلي ما يقرب من ٥٠ مليون إنسان ، الغالبية العظمي منهم تستخدم الحشيش وهو - لحسن الطالع - من المخدرات التقليدية وأقل خطراً من المخدرات البيضاء التي يشيع استخدامها في الفترة الأخيرة . أما في مصر فلا توجد إحصائيات موثوق بها للإدمان لكن الانطباع السائد أن ظاهرة الإدمان تمر أحياناً بموجة انتشار ، وحيناً بالانحسار ، أما مصدر الخطورة فهو الانتشار غير المسبوق

للأنواع الخطرة من المواد البيضاء خصوصاً في أوساط الشباب وصغار السن .. وتشير الدلائل غالى انتشار غير مشبوق لتعاطي "الترامادول" في مصر.

○ ما هي أنواع المخدرات التي يشيع تداولها وتعاطيها حالياً ؟

هناك قوائم طويلة تضم عشرات الأسماء لمواد مختلفة وجد أنها تستخدم بواسطة المدمنين للحصول علي التأثير المخدر، ومنها ما هو جديد علي الأسماع حيث لم نألف مشاهدة أي حالات لاستخدامه في السابق.

والمخدرات التقليدية مثل الحشيش والأفيون رغم أنها ما زالت الأكثر تداولاً واستخداماً حتى الآن فإنها لم تعد تنال من الاهتمام مثل الأنواع الجديدة من مشتقات الأفيون والمخدرات البيضاء التخليقية الأكثر فعالية ، مثل الهيروين والمورفين ، والتي غالباً ما تم استعمالها في البداية لأغراض طبية ثم تحولت إلي أخطر مواد الإدمان مع إساءة استخدامها .

ولعل الأنواع المختلفة للمخدرات قد سمع بها الجميع لكثرة تداول الحديث بشأنها في وسائل الإعلام المختلفة ، مثل الكوكايين ، والأقراص المخدرة والمهدئة وعقار الماكستون فورت ، وحبوب الهلوسة ، لكن هناك أسماء جديدة مثل " الكراك " مثلاً وهو توليفة من مواد مخدرة ، وهناك أيضاً ما رأيناه من خلال الممارسة في العيادات النفسية من استخدام بعض المواد لم تكن أصلاً من المخدرات ولا تعتبر كذلك مثل مواد الطلاء (الدوكو) ، واللصق (الغراء) ، وبعض المواد العضوية كالبنزين ، وكل هذه المواد تستخدم أصلاً في أغراض صناعية معروفة لكن بعض من صغار السن أخذ في تعاطيها لتحقيق تأثير مخدر ، وتشير الدلائل الى انتشار غير مسبوق لتعاطي "الترامادول" في مصر.

وهذه بالطبع متوفرة في الأسواق ويتم بيعها وتداولها بحرية ، ويمكن للجميع الحصول عليها فثمنها في متناول الجميع !

- وماذا عن المشروبات الكحولية ؟

يشكل إدمان الكحول مشكلة صحية واجتماعية خطيرة في بعض الدول حيث يتم استخدامه علي نطاق واسع يفوق كل أنواع المخدرات الأخرى المعروفة وهذه المجتمعات تسمح تقاليدها بتعاطي الكحول في العلن حيث يتعود علي استخدامه ويتناوله الجميع بكميات متفاوتة ، فمنهم من يشرب باعتدال ويستخدم المشروبات ذات المحتوى القليل من الكحول مثل البيرة والنبيذ ، ومنهم من يتجه إلي تعاطي المشروبات الكحولية بإفراط ويستخدم أنواعاً تحتوى علي نسب عالية من الكحول كالويسكي والروم والجين ، وفي النهاية يصل الأمر إلي الإدمان علي الكحول .

ومن مضاعفات الإدمان علي الكحول ما يحدثه من آثار صحية ونفسية واجتماعية خطيرة ، فمن المشكلات الصحية المرتبطة بتعاطي الكحول قرحة المعدة وتليف الكبد وأمراض الجهاز العصبي التي تتفاقم بصورة خطيرة تؤدى إلي الشلل وضمور الأعصاب ، وقد يحدث العمي نتيجة لتأثير الكحول علي العين ، وتتدهور باستمرار القوى العقلية للمدمن بتأثير الكحول علي الجهاز العصبي ووظائفه حتى تؤدى في النهاية إلي حالة العته .

وتحت تأثير الكحول قد يضطرب حكم المريض علي الأمور من حوله ويمكن في هذه الحالة أن يرتكب تصرفات اندفاعية أو عدوانية تتسبب في الأذى لمن حوله وقد يقدم علي ارتكاب الجرائم والأفعال المخلة ، أو الانتحار .

ولعل المجتمعات الإسلامية لا تعاني من هذه المشكلة بالصورة المتفاقمة التي تحدث في الدول الغربية نظراً لموقف الدين الواضح في تحريم الخمر والأمر باجتنابها وبالتالي تلافي آثارها السلبية ، ومن ملاحظة أن من يشيع فيهم إدمان الخمور هم من الذين يعملون في تداولها بالبيع أو تقديمها لمرتادي بعض الأماكن السياحية والذين يمكن لهم الحصول عليها بسهولة ، ولعل هذه هي الحكمة من النصوص الدينية التي تلعن ساقيها وشاربها وكل من يتداولها .

- **هل هناك علاقة بين التدخين والإدمان ؟**

العلاقة بين التدخين والإدمان وثيقة وثابتة ، لكن في البداية لابد أن نعلم أن مشكلة التدخين بكل المقاييس وحسب الأرقام أسوأ وأهم من مشكلة الإدمان فإحصائيات منظمة الصحة العالمية تذكر أن الوفيات من الأمراض الناتجة عن التدخين تبلغ ٢,٥ مليون إنسان سنوياً ، وهذا الرقم يفوق كثيراً كل ضحايا الإدمان ، لكن التدخين قاتل بطئ وصامت ، وانتشاره في كل مجتمعات العالم دون قيود يعطي الفرصة لحدوث كثير من الأضرار في قطاعات الشباب والصغار والكبار والمرأة وكل من يجلس حتى بجوار المدخن ويستنشق سحب الدخان بما فيها من مواد ضارة .

والمواد الضارة في دخان السيجارة لا تقتصر علي النيكوتين والقطران التي نعلم ما تسببه لأجهزة الجسم من أضرار ، أو مادة أول أكسيد الكربون الناتجة عن احتراق التبغ ، ولكن وجد أن دخان السيجارة يحتوى علي حوالي ٤٠٠٠ مركب ضار بعضها يسبب أنواع السرطان المختلفة .

وفي التصنيفات الأخيرة للطب النفسي تم ذكر إدمان النيكوتين أو الاعتماد علي التبغ كأحد الحالات المرضية أسوة بغيره من المخدرات كالهيروين والكوكايين حيث ينطبق علي النيكوتين ما يحدث مع مواد الإدمان الأخرى من خصائص الإدمان حيث يصعب علي المدخن الإقلاع ، وإذا لم يجد السيجارة تبدو عليه علامات القلق والتوتر والصداع ، وهي الخصائص النفسية والبدنية للانسحاب من تعاطي المواد المخدرة ، وبالتالي يجب أن ينظر باهتمام إلي ظاهرة التدخين وتكثيف الحملات لمكافحة هذه الظاهرة والحد من انتشارها .

- **هل يمكن علاج حالات الإدمان ؟**

ليس من اليسير علاج حالات الإدمان علي المخدرات البيضاء التخليقية ولا يعتبر ذلك دعوة إلي التشاؤم فبعض التقارير تذكر أن جدوى العلاج محدودة حتى أن ٨٠٪ من الحالات التي يتم علاجها تعود إلي الإدمان بعد أن تتوقف عن التعاطي ، وهذا يعني أن العلاج لا يفلح في ٨ من كل ١٠ من المدمنين .

لكن الأكثر منطقية في التعامل مع مشكلة الإدمان هو الاتجاه لتكثيف جهود الوقاية ولا يترك الأمر حتى يصل إلي حالات إدمان مطلوب علاجها فالنتائج المتوقعة من العلاج رغم تكاليفه تبعث علي الإحباط ، ذلك أن الشخص الذي وصل إلي حالة الإدمان لديه من الأسباب والعوامل المعقدة ما يدفعه إلي الاستمرار في التعاطي وعدم القدرة علي التوقف رغم جهود العلاج .

ولعل من المفيد عدم التحدث عن أساليب العلاج التي تتبع عادة من عقاقير تعطي للمريض بالمستشفي في الفترة التي تعقب توقفه عن التعاطي وظهور أعراض الانسحاب الحادة والمزعجة ، فلا يعني زوال هذه الأعراض وتوقف المريض لمدة

زمنية أنه قد شفي ، وان مشكلته في طريقها للحل ، لكن الحلول الجذرية يجب أن تكون بالتخطيط لأساليب الوقاية بالتنشئة السليمة ، والتربية علي أسس ثابتة وأن توضع الحلول المناسبة لمشكلات المجتمع التي تسبب الإحباط والانحراف لقطاعات الشباب الذين تستهدفهم الهجمة العاتية لتيار المخدرات .

وأحيانا ما يدفع الإحباط من نتيجة علاج الإدمان إلي التفكير في حلول غير تقليدية للمشكلة مثل إقامة ما يشبه المستعمرات بعيداً عن العمران يوضع بها المدمنون إلي أجل غير مسمي ، غير أن مثل هذه الأفكار ليست واقعية ، ويجب علي كل الجهات أن تضطلع بواجبها في حملة واسعة لمواجهة المشكلة .

حالات

زوجى .. مدمن.. ماذا أفعل؟

أنا سيدة متزوجة ولدى أربعة أبناء أكبرهم فى المرحلة الابتدائية، ومشكلتى التى أبعث بها إليكم من نوع خاص تجعلنى أشعر بأننى أتعس الناس فى هذه الدنيا، فبعد زواج استمر أكثر من تسع سنوات اكتشفت أن زوجى قد خدعنى طول هذه المدة ، فقد كان يتأخر فى العودة الى المنزل كل ليلة بحجة العمل أو السهر مع أصدقائه، لكنى كنت ألاحظ عليه الشرود، والكسل الشديد، وعدم المبالاة بأى شىء وكانت صدمتى هائلة حين تأكد لى منذ أسابيع أنه يتعاطى نوعاً من المخدرات لا أعرفه ، ومنذ ذلك الوقت وأنا فى عذاب وصراع وأفكر فى ترك المنزل ثم أنظر الى أولادى، الصغار الذين يحتاجون للرعاية. ولا أدرى ماذا أفعل، وهل يوجد لديكم علاج لمثل هذه الحالة ؟.

* وللسيدة كاتبة هذه الرسالة نؤكد بأن حالة زوجك بالفعل تدعو الى الاهتمام وتستلزم التدخل والعلاج . ذلك أن إدمان وتعاطى المواد المخدرة بمختلف أنواعها والتى تزايد انتشارها فى أيامنا هذه يؤدى الى تدهور صحى ونفسى مؤكد الى جانب تكرار ذلك فالكل يعلمه جيداً حتى المدمنون أنفسهم لكنهم رغم ذلك يمضون فيما يفعلون رغماً عنهم.

وعلاج الإدمان يا سيدتى مسألة سهلة فالشخص يتعود على ما يتعاطاه من مواد حتى تصير مطلباً قسرياً يسعى للحصول عليه بأية وسيلة، لكن لا مكان لليأس فى مثل هذه الحالات وبعضها يستجيب للعلاج فعلاً بشرط توفر الارادة لدى الشخص للخروج من هذه الدائرة، وأرى أن دورك يا سيدتى فى الوقوف بجانب

زوجك ومساندته حتى يخرج من هذا المأزق هام وحاسم ، وعليك باقناعه أولا بأهمية العلاج ثم الوقوف بجانبه والصبر حتى تنتهى مراحل العلاج النفسى الذى قد يطول فى بعض الأحيان.

أخشى إدمان .. " الفاليوم ":

أنا سيدة في الأربعين ، وقد مرت بي أزمة شديدة حين فقدت أكبر أولادى في حادث سير أليم منذ أربع سنوات ، وقد أصابني عقب ذلك حالة قلق شديد وكآبة وكنت أمضي عدة أيام متواصلة دون نوم بالليل أو النهار ، وراجعت الطبيب أثناء ذلك فوصف لي أقراص " الفاليوم " وأنا منذ ذلك الحين أستخدم هذا الدواء دون انقطاع لأنني إذا تركته يصيبني القلق ولا استطيع النوم ، لكني أخشي أن أكون قد أدمنت علي هذا الدواء ، فما الحل لهذه الحالة ؟.

* وللسيدة كاتبة هذه الرسالة نقول : لا خوف يا سيدتي من الإدمان في مثل حالتك ، وأريد أن أوضح لك أن أقراص الفاليوم التي وصفها لك الطبيب لها تأثير مهدئ علي الأعصاب ومضاد للقلق ويفيد استخدامها في الحالات التي تعاني من القلق والتوتر الشديد ، لكننا في الطب النفسي ننصح بعدم استخدامها لمدة طويلة خشية الاعتماد أو التعود عليها .

وفي مثل حالتك ننصح فقط بمحاولة تخفيض الجرعة إلي الحد الأدني فإذا كنت تستخدمين أقراص عيار ١٠ مجم يمكن استبدالها بأخرى من عيار ٥ مجم أو ٢ مجم، وربما يكون للجرعات الأقل نفس الأثر العلاجي للدواء مرة واحدة قد ينشأ عنها ظهور الأعراض من جديد،وعلي وجه العموم نطمئنك يا سيدتي بأن الإدمان أكبر من تلك التي وصفها الطبيب،وهذا لا ينطبق علي حالتك.

أثار جانبية للأدوية النفسية :

عزيزي الدكتور النفساني..أكتب إليكم عن حالة ولدى البالغ من العمر ١٨ سنة الذي أصابته حالة عقلية حيث انتابته نوبة هياج شديدة كان خلالها يكسر الأشياء في المنزل ويحطم كل ما تصل إليه يده،وقد قمنا بنقله إلي المستشفي لتلقي العلاج فهدأت حالته فعلاً لكن بدأنا نلاحظ رعشة شديدة في أطرافه فلا يستطيع التحكم في يديه كما أن لعابه يسيل من فمه باستمرار رغم أنه لا يزال تحت العلاج،فهل هذا مرض آخر أصابه؟وأرجو إفادتنا عن طريقة علاجه .

* وللسيد صاحب هذه الرسالة نقول : ليس ما يعاني منه ولدك حالياً مرضاً نفسياً أو عصبياً آخر،لكن ما ظهر عليه هو في الغالب الآثار الجانبية للأدوية التي وصفت له لتهدئة حالته النفسية .

ومن المعروف لدينا في الطب النفسي أن هناك بعض الأدوية التي تستخدم لعلاج حالات الهياج والأمراض العقلية يتسبب عنها بعض الأعراض الجانبية مثل التشنج وتيبس العضلات وارتعاش اليدين والأطراف ، وزيادة إفراز اللعاب ، وعند وصف هذه الأدوية التي يعرف عنها الأطباء أنها تسبب هذه الأعراض يجب وصف أدوية أخرى يتناولها المريض في نفس الوقت لمنع هذه الشكاوى المزعجة .

كل ما عليك يا سيدي الآن هو مراجعة طبيبك النفسي مرة أخرى ولن يتطلب الأمر سوى إضافة نوع آخر من الأقراص ، وضبط جرعة الدواء ، وبعدها تختفي هذه الأعراض الجانبية ويتم السيطرة عليها نهائياً .